

فقد سبق الفرس إلى الحضارة و النظام ، كان الجهاد و التغالب بين الحضارة الفارسية و البداوة العربية ، بين الحياة المترفة المعقدة و الحياة الساذجة الهينة . لم يكن هذا الجهاد عنيفا حين كانت الحياة المادية موضوعه ، فكل الناس يؤثر اللين على الخشونة و يفضل النعمة على البؤس و يحرص على أن يستبدل الإثراء بالعدم وإنما كان الجهاد عنيفا بعضى العنف حين كانت الحياة العقلية موضوعا له ، فاشتد النضال بين أنصار العادات العربية القديمة و السنن العربية الموروثة ، فانتصرت الحضارة و اشتدت فيها رغبة العرب من أهل المدن على اختلاف طبقاتهم و منازلهم الاجتماعية ، وكان هذا الانتصار عاما تناول الحياة المادية و العقلية و تناول معهما حياة الشعور ، ففكر العرب المحدثون بطريقة تخالف مخالفة شديدة تفكير العرب القدماء و عاشوا في قصورهم عيشة تخالف عيشة آبائهم و قد آثر هؤلاء المحدثون من العرب عيشة الفرس و تغير الفرس و تفكيرهم ، على عيشة العرب و تفكيرهم ، و وجد هؤلاء الشعراء و الكتاب و الفلاسفة الذين كانوا يسخرون من كل قديم و يحتفلون من كل جديد و يجهرون بذلك حيننا و يسرون حيننا آخر يامنون معه دهرنا ، و يلقون في سبيل الموت من وقت إلى وقت و جد مطيع بن إياس الذي كان لا يبالي أكان عفيفا أم مرذول السيرة ،